

مساهمة عبد القدير فى انمدائح النبوية الهندية باللغة العربية

الدكتور محمد مظهر عالم الندوى^{رحمته}

كان الشيخ عبد القدير بن عبد القادر الحيدر آبادى من علماء الهند البارعين فى العلوم الدينية والأدبية، ولد بحيدرآباد سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف، وولى التدريس بالجامعة العثمانية ثم تولى رئاسة القسم الدينى واحيل إلى المعاش، ومات لمبع عشرة خلون من شوال سنة احدى وثمانين وثلث مائة وألف بحيدر آباد ودفن بها وله ثلاث وتسعون من العمر.

يعد عبد القدير من الشعراء المفلحين الذين انجبتهم الهند، وله قصائد عديدة فى مدح رسول الله ﷺ، عثرنا منها على ست قصائد وسلامين، ومن هذه القصائد قصيدة قافيتها "الهمزة" وهى تشتمل على سبعة أبيات، وقصيدة قافيتها "الألف" وانها تحتوى على أربعة عشر بيتا، وقصيدتان قافيتهما "الدال" تشتمل احدهما على تسعة أبيات والأخرى على ثلاثة عشر بيتا، وقصيدة قافيتها "الميم" و انها تشتمل على أربعة عشر بيتا، ومن السلامين، يتضمن احدهما ثمانية عشر بيتا والآخر أحد عشر بيتا، وتمتاز هذه القصائد كلها بعدم التطرق إلى التشبيب الذى صار من ديدن الشعراء الأقدمين، بدأها شاعرنا الهندى بالمديح النبوى ﷺ مباشرة فامعن فى تصوير صفات رسول الله ﷺ الخلقية والخلقية وفضل البعثة المحمدية ومنها على العالم الإنسانى كما يقدم فيها إلى سيد الأنام صلى الله عليه وسلم ضريبة الحب والتعظيم وهدية المحبة والعرفان بالجميل

☆ قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عليكره الإسلامية

ويبذل فيه مؤهلاته كلها لكي تكون الهدية مزدانة بلآلى الألفاظ
وجواهرها .

يمدح الشاعر رسول الله بذكر الأوصاف الكريمة و السجيا النبيلة
لمحمد بن عبد الله، فالنبي الكريم كريم الآباء والاجداد.

يا حبيب الاله يا باهر المجد د كريم الآباء والاجداد

و انه صلى الله عليه وسلم حميد الخصال والشيم، باهر المعجزات و
الآيات، وسيد الانبياء والرسول.

يا حميد الخصال والشيم لك حسن الثا سلام عليك
باهر المعجزات والايات افضل الأنبياء سلام عليك
فالنبي ﷺ خير الخلائق:

خير الخلائق كلهم رب المحامد والعلی
مثل النبي محمد من فی الوری من فی الوری
انه ﷺ بدد ظلمات الكفر، ونثر درر الإيمان، ورفرف رآية
التوحيد، دان بولانه وخضع لسيادته العرب والعجم

من نور وجهك انوار الهدى إنتشرت به تقوض ليل الكفر والظلم
ظلت لهيبتك الأعناق خاضعة بحد دينك حد الشرك ينظم

وانه ﷺ شفيع الوری، فيقول الشاعر وهو يرجو الشفاعة عند الله
من رسول الله يوم المحشر .

جئت ارجو شفاعة منك يا شفيع الوری سلام عليك

وعلى هذه الصورة يذكر شاعرنا الهندي أوصاف رسول الله وشيمه
ومواقفه الحاسمة في سبيل نثر الدعوة الإسلامية ومجهوداته في سبيل
الدين لإعلاء كلمة الله تبارك وتعالى .

ويخيل إلينا ان الشاعر يستغيث برسول الله إذ يقول:

غياث و غوث للانام و أمنهم إمام الرى شمس الهدى فخر عدنان
فكن موئلى من شر نفسى و زبغها وكن لى جرزا من مكائد شيطان^١

وتراءى لنا هذه الاغائة عند كثير من الشعراء الهنود حتى عندهم الذين كانوا من أئمة أهل السنة مثل الشاه عبد العزيز الدهلوى وانور شاه الكشميرى، فهل هذه الاغائة الاغائة التى لا تجوز أو هو اسلوب من اساليب شعراء الأعاجم فى المديح النبوى؟ فى هذا الصدد يقول العلامة سيد ابو الحسن على الحسنى الندوى محشيا على كلمة تحت عنوان "محمد اقبال فى مدينة الرسول" فى كتابه "الطريق إلى المدينة" "ليس هذا الحديث من الإستعانة فى شئ، إنما هو اسلوب من اساليب الشعر والحب استعمله الشعراء قديما وحديثا"^٢ وكذلك يقول وهو يترجم بعض الأبيات فى المديح النبوى لعبد الرحمن الجامى الذى يعتبر من أكبر شعراء المديح النبوى فى التاريخ الإسلامى " وكان فى المجلس بقض العلماء، فرفعوا رؤوسهم عند بعض الأبيات، ونظروا إلى الشاعر شزرا وإلى المترجم اشفاقا وحذرا، وكأنهم خافوا من تورط الشاعر فى بعض ما لايجوز، فقلنا ان الشاعر من **الراى المنبى** فى العلم ومن أصحاب العقيدة الصحيحة، ولكنها لغة الحب والشعر لا لغة الفقه والكلام" فيتبين من هذا القول ان هذه الاغائة ليست الاغائة التى لا تجوز، ولكنه يحسن للشعراء المعاصرين ان يجتنبوا من هذا النوع من المجازات والإستعارات التى تسبب إلى فساد العقيدة والدين، فطوبى لمن وفق للطريق الوسط بين الافراط والتفريط.

وعندما نرى هدية الحب والتعظيم التى يقدمها الشاعر إلى رسول الله ﷺ يتضح لنا ان الشاعر يحب رسول الله حبا عميقا، إمتزج حب النبى بلحمه ودمه ودخل شغاف قلبه، كيف لا وحب سيد الأنام دين وبغضه كفر كما يقول الشاعر:

حبك الدين بفضك الكفر حتما فى كلام الاله رب العبادنا

تشتعل نار الحب والهيام بين جوانحه، وتضطرم نار الوجد والهوى
في قلبه، وتلتهب نار الصباية والجوى في صدره فشاعرنا يحترق حبا للنبي

الجسم فيه ضنى والقلب فيه هوى والصدر فيه جرى والنار تضطرم
حبا لأحمد خير الخلق كلهم المصطفى المجتبي طابت له الشيم^{١١}

يزداد شاعرنا العاشق الوامق بحبيبه رسول الله شوقا و كلفا يوما بعد
يوم، ويحن إلى زيارته، ولكنه عند ما يرى العقبات والعوائق في سبيله إلى
موطن فواده ومراح روحه تشتد لوعة الفراق والبعد ويكاد ينقش نياط قلبه
هما وحننا فيقول:

كيف المزار وبيننا بحر عظيم والفلا^{١٢}

ويرحل هذا المحب إلى الحجاز بخياله القوي وقلبه الولوع الحنون
وفواده المجروح، ويشكو بثه وحننه إلى سيد الأنام فيقول في أدب
وتواضع، وعيناه تدمعان صباية وحرقة ولوعة، وخفقان قلبه قد اشتد: يا
رسول الله أنا في بحران من الهيام ولقد بلغت شقوتي ذروتها، فإلى متى
أصطلي نار البعاد، وإلى متى أقاسى من الهوى كبداء، وإلى متى أجهد من
شديد السقم، انت ملاذى يا رسول الله جئت إلى بابك مستجديا:

كم أصطلي نار البعاد حتى متى وإلى متى
يارحمة للعالمين منى إليك المشتكى^{١٣}



يا ملاذى إلى متى أجهد من شديد السقم سلام عليك
جنت مستجديا إلى بابك يا عظيم الكرم سلام عليك^{١٤}

وعلى هذه الشاكلة قصائد شاعرنا كلها مفعمة بالحب النبوى الذى
لا لذة فى الحياة بغيره ولا قيمة للحياة بغيره، وقد عبر الشاعر عن هذ
الحب فى قصائده بالأساليب المتنوعة و بالتعبيرات المختلفة بحيث
تشجى القلوب وتملأها إيمانا وحنانا، وهذه ميزة تضى على قصائد

شاعرنا الهندي لونا من القداسة والفخامة، وانما تنحط هذه القصائد في ميزان النقد من حيث جودة سبكها وفصاحة ألفاظها ومتانة أبياتها وروعة معانيها وجزالة تعبيراتها وخلوها من وسائل التجميل والتحبير من مستوى قصائد الشعراء الهنود الذين اجتمعت عليهم ثقافة الشعر ولهيب الحب فجعلهم شاعرا على طراز رفيع ولكنها تضاهى وتضارع القصائد الهندية الرائعة في صدق اللهجة وصفاء الخيال والأحاسيس الصادقة النبيلة.



الهوامش

- ١ - نزهة الخواطر ٢٧٨/٨
- ٢ - زفرات الشوق، ص: ١١
- ٣ - المصدر نفسه، ص: ٧
- ٤ - المصدر نفسه، ص: ٨
- ٥ - المصدر نفسه، ص: ٩
- ٦ - المصدر نفسه، ص: ٧
- ٧ - المصدر نفسه، ص: ١٣
- ٨ - الطريق إلى المدينة، ص: ٢٤
- ٩ - المصدر السابق، ص: ١١٥
- ١٠ - زفرات الشوق، ص: ١١
- ١١ - المصدر نفسه، ص: ٩
- ١٢ - المصدر نفسه، ص: ٨
- ١٣ - المصدر السابق نفسه
- ١٤ - المصدر نفسه، ص: ٦



نداء الهند